التّمهيد

الترادف في الحقل اللغويّ

١ ـ الترادف من حيث المعنى اللغويّ:

في اللّسان: «ردف»: الرِّدف: ما تبع الشيء، كل شيء تبع شيئاً فهو رِدْفُه.

وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو التّرادف، والجميع: الرُّدافي، قال لبيد:

عذافِرةٌ تقمّصُ بالرُّدافَى تخوّنها نُزولي وارتحالي[1]

وفي التعريفات للجرجانيّ: «التّرادف»: عبارة عن الاتحاد في المفهوم. وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالّة على شيء واحد باعتبار واحد.

وقال أيضاً: التّرادف: يُطلق على معنيين:

أحدهما: الاتحاد في الصّدق.

والثاني: الاتحاد في المفهوم.

ومن نظر إلى الأوّل فرّق بينهما، ومن نظر إلى الثاني لم يفرق بينهما(٢) .

٢ ـ الإرداف عند علماء البلاغة:

ويذكر صاحب «أنوار الربيع»: أن «الإرداف» و «الكناية» شيء واحد عند علماء البيان.

غير أن علماء البديع كقدامة والحاتميّ والرُّمّانيّ وغيرهم فرقوا بين الكناية والإرداف فقد قالوا: الإرداف: «هو أن يريد المتكلم معنًى فلا يُعبّر عنه بلفظه الموضوع له، بل بلفظ هو رِدْفه وتابعه كقوله تعالى: ﴿ قُضِيَ الأمرُ ﴾[3] والأصل: وهلك من قَضَى الله هلاكه، ونجّى من قضى الله نجاتَهُ».

---

(١) انظر ديوان لبيد: ٧٦ ، وعذافرة: ضخمة قوية.

(٢) التعريفات: ٣١.

(٣) سورة هود: الآية ٤٤.

وهلك من قَضَى الله هلاكه، ونجّى من قضى الله نجاتَهُ».

وعدل عن ذلك إلى لفظ الإرداف لما فيه من الإيجاز، والتّنبيه على أن هلاك الهالك، ونجاة النّاجي بأمر مطاع، وقضاء من لا يُردّ قضاؤه والأمر يستلزم أمراً، فقضاؤه يدُلّ على قُدرة الآمر به، وقَهره، وأن الخوف من عقابه، والرجاء من ثوابه يحضّان على طاعة الأمر، ولا يحصُل ذلك من اللفظ الخاصّ.

وكذا قوله: ﴿ واسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ﴾[1]، حقيقة ذلك جلَسَتْ «فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكّن، لا زيغ فيه ولا مَيْل، وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس»[2] .

وبعض البلاغيّين يرى أن الفرق بين الإرداف والكناية متمثّل في «أن الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم، والإرداف من مذكور إلى متروك »[3].

٣ ـ أول من أشار إلى ظاهرة الترادف:

أول من أشار إلى هذه الظاهرة سيبويه، فقد عقد في كتابه باباً أطلق عليه: «باب اللفظ للمعاني»، قال فيه:

«اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين، واختلاف المعنيين.....

فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق.

واتّفاق اللفظين، والمعنى مختلف قولك: وجَدْت عليه من المَوْجِدة، و وجَدْت: إذا أردت وِجدان الضالّة»[4].

---

(١) هود: الآية ٤٤.

(٢) أنوار الربيع: ٦/٥٠.

(٣) السابق: ٥١.

(٤) سيبويه: ١/٢٤ هارون.

٤ ـ أقدم مؤلّف في هذه الظاهرة:

لعل أقدم مؤلف في هذه الظاهرة هو كتاب الأصمعيّ (ت ٢١٧)، وعنوانه: «ما اختلفت ألفاظه، واتفقت معانيه»[١].

وهذا الكتاب تحدّث به عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمّه الأصمعيّ.

والنّاظر إلى هذا الكتاب يرى أن منهجه يقوم على ما يلي:

١ ـ يتناول الكلمة ومرادفاتها، ويشير إلى المحور وهو المعنى. ومن الأمثلة على ذلك قوله: «والكُشاحةُ والقُمامةُ، والخُمامة، والكُناسة، والكبا. كل ذلك مِمّا يكنِس النّاس من التراب من دورهم، فيُلقَى بعضهُ على بعض».

٢ ـ يستدل بالشّعر ليؤكد هذه الظاهرة، ومن الأمثلة على ذلك قوله: يقال: قد كثُر ولدُ فلان، وقد أبقَ، ونَتَق، وهو ناتقٌ، هذا كلّه سواء، وامرأة ناتقٌ: إذا كثر ولدها، قال النابغة الذبياني:

..... وأمُّهـــــــــمْ طَفَحَتْ عليك بنـاتق مِذْكـار[٢]

وقال الفرزدق:

وتَـرَتْ قبـائلَ أمّ كُـلّ قبيلـةٍ أمُّ العتيـكِ بنـاتقٍ مِذْكـار[٣]

٣ ـ ويستدل من الحديث الشريف:

ومن الأمثلة على ذلك قوله: «يقال: رشَوْت فلاناً مالاً وحلَوْتُه أحلُوه حلْواً، وحُلْواناً». ومنه: «نُهي عن حُلْوان الكاهن»[٤].

قال علقمة بن عبدة:

---

(١) حققه ماجد حسن الذهبي، نشره دار الفكر بدمشق، طبع عام ١٩٨٦.

(٢) ديوان النابغة: ١٠٨، والبيت بتمامه هو:

لم يُحْرمـوا حسـن الفِـناء وأمُّهـمْ طَفَحـتْ عليـك بنـاتق مذكـار

(٣) ديوان الفرزدق: ٣٠٦، وانظر ٣٦ من الكتاب.

(٤) انظر صحيح البخاري: باب البيوع: «نهي النبي عن ثمن الكلب، وحُلْوان الكاهن». وانظر معجم ألفاظ الحديث: ١/٥٠٥.

ألا رجـلٌ أحلُـوه رَحْلـي ونـاقتي يبلّغ عنّي الشّعر إذْ مـات قائلـه [1]

وفي ضوء هـذا الكتـاب نجـد الأصمعيّ تنـاول في كتابـه مجموعـة مـن الألفـاظ المترادفة التي تنوعت، فمنها ما يتعلق بالأسماء، ومنها مـا يتعلـق بالأفعـال، ومنهـا مـا يتعلق بالصّفات سواء كانت حسنة أو قبيحـة، فكتابـه في حقيقـة الأمـر يعتـبر بمثابـة معجم للألفاظ المترادفة قام بجمعها واستيعابها الأصمعيّ في زمن مبكّر.

* * *

(1) انظر ٦٢.